كلمة الأستاذ شحادة الخوري

في حفل استقباله عضواً في مجمع اللغة العربية

أيها السيدات والسادة

يطيب لي بادئ ذي بدء، أن أسوق الشكر جزيلاً وخالصاً إلى إخواني الأكارم، أعضاءِ مجمعنا العريق، مجمع اللغة العربية بدمشق، لتفضلهم بانتخابي عضواً عاملاً فيه، وذلك تشريف لي أتقبله بامتنان وإلم أكن أهلاً لمثله.

وإنني إذ أقدر لهم هذه الثقة الغالية التي أولوني إياها، لأعد ببذل كل ما في وسعي، بالتعاون معهم، للإسهام في أعمال المجمع وتحقيق أهدافه السامية التي ترمي للحفاظ على لغتنا العربية الغالية. إنها لسان الآباء والأجداد ولغة القرآن الكريم التي أثرت بمعانيه السامية وبيانه الناصع، ووعاء حضارتنا الباذخة وذاكرة تراثنا الأدبي والعلمي عبر العصور، والتي علينا أن نجعلها لساننا الأثير على وجه الشمول، في الزمن الحاضر والمستقبل.

وأود أن أشير إلى أنني لم أكن في العقدين الأخيرين بعيداً عن المجمع وأعضائه والقائمين على شؤونه. فقد حضرت الندوات العلميةَ التي أقامها وشاركت في بعضها، ونشرت بعض الدراسات في مجلته الغراء ، وتابعت نشاطه اللغوي والثقافي.

وقبل هذا وذاك أشير إلى الصلات الحميمة التي تربطني بعدد من أعضائه الأكارم منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمن، صلات قائمة على

الصداقة والمودة والاحترام. وإني لأخص بالذكر صلتي بسيادة رئيس المجمع العلامة الفاضل الأستاذ الدكتور شاكر الفحام. لقد تعارفنا في بداية الستينيات، على صعيد تعلقنا باللغة العربية وقيامنا بخدمتها كتابةً وتدريساً. وتوثقت علاقتنا حين جمعتنا وزارة التعليم العالي في السبعينيات، عندما تولى قيادة هذه الوزارة آنئذ، بكل القدرة والإخلاص والدأب، فوسع اهتماماتها وعزز دورها، وكنت سعيداً بمعاونته إياي بوصفي مديراً للتأليف والترجمة والنشر فيها، وكانت ثمرات دعمه لعملي إذاك طيبة ووافرة. وكذلك أذكر باعتزاز صلتي بالأخ الأستاذ العلامة الدكتور عبد الكريم اليافي الذي تكرم بتقديم كتابي «الأدب في الميدان» عام ١٩٥٠، ثم كتابي «دراسات في الترجمة والتعريب والمصطلح» عام ١٩٨٩، فغمرني بمودته وأفادني بعلمه.

أيها السيدات والسادة:

إنني وقد شاء لي المجمع وشئت أن أتحدث عن عضو سبقني من أعضائه الأفاضل، هو الأستاذُ والأديب والباحثُ المرحوم الدكتور مسعود بوبو، فإنني لأحس بشعور مزدوج: شعورٍ بالحزن العميق لفقده في وقت مبكر، إذ وافته المنية وهو في أوج نشاطه وذُروة عطائه، لم يزد على الستين إلاّ قليلاً، وشعورٍ بالرضا إذ سنحت لي فرصةُ التحدث عن فارسٍ من فرسان الكلمة، وعلمٍ من أعلام اللغة والثقافة في بلادنا ممن نذروا حياتهم للعلم والمعرفة، للنهوض والارتقاء، للوطن والأمة، على السواء.

لقد لقيت الدكتور مسعود، رحمه الله، مرات عديدة، أذكر منها لقاءنا خلال محاضرة ألقيتها في قاعة اتحاد الكتاب العرب عام ١٩٩١ حول

«اللغة العربية والتقدم العلمي والتقاني والتقني» وتباحثنا بعدها فيما تلقى اللغة العربية في هذا العصر من تحديات إزاء المصطلحات التي تدخل ساحة العلم بتأثير الكشوف الجديدة والتقدم المعرفي السريع. وكذلك لقيته في الندوة التي أقامتها كلية الآداب بجامعة تشرين في اللاذقية عام ١٩٩٦ والتي ألقيت فيها دراسة موضوعها: «التعريب والمصطلح» وألقى الدكتور مسعود دراسة قيمة موضوعها: «التعريب والشخصية الوطنية». وقد نشرت الدراستان مع الدراسات الأخرى في مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، العدد السادس لعام ١٩٩٦.

وأود هنا أن أورد المقطع الأخير من دراسته القيمة: «.... إن علينا أن نعرب العلوم والمسميات الحديثة، وأن نتحاشى اعتماد تسميات أجنبية في المحافل الرصينة أو في الحياة العامة أو في الخدمات والمرافق السياسية والإعلامية وغيرها، وحتى في الدعايات التي باتت تتسرب إلى أسماعنا وذواكرنا كالأوبئة. فلنحذر من هذا التغريب قبل استفحاله ولنبقِ في الحسبان أن عملية التعريب تتطلب أساساً لا معدىً عنه هو الإخلاص للعلم والعربية وصدق التصميم على إعلاء الشخصية القومية في هذا الميدان، وإتقاناً للغة العربية وإتقاناً للغات التي سنعرب منها حتى لا يكونَ كلامنا صرخةً في القفار....».

لقد وجدت في الدكتور مسعود بوبو رجلاً نير العقل، غزير العلم، نبيل العاطفة، صادق الانتماء، يتطلع ويسعى لإغناء الثقافة العربية وتنمية اللغة العربية في هذا العصر الزاخر بمعارفه وعلومه وآدابه وفنونه.

وإني لأحرص على تقديم تعريف موجز بهذا الأديب العالم: نشأته وإنجازاته، ولم أجد أشملَ وأصدق مما خطه بقلمه، فأوجزه بما يلي:

ولد الدكتور مسعود بوبو في منطقة البسيط بمحافظة اللاذقية عام ١٩٣٨، وتنقل في عدة قرى من تلك المحافظة حتى حصل على الشهادة الابتدائية من قرية مشقيتا عام ١٩٥١. ثم أنهى دراسته الإعدادية في اللاذقية والتحق بخدمة العلم، وإبان هذه الخدمة حصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٦٣. وفي عام ١٩٦٨ حصل على إجازة في اللغة العربية وآدابها من جامعة دمشق، فعمل مدرساً ثم أوفد إلى جامعة الإسكندرية فحصل على شهادة الماجستير في علوم اللغة العربية عام ١٩٧٦ وشهادة الدكتوراه في العلوم المذكورة عام ١٩٨٠.

عين مدرساً لفقه اللغة العربية بجامعة دمشق، ثم أُعير عام ١٩٨٣ إلى جامعة صنعاء باليمن فدرس مواد العربية فيها وعاد إلى جامعة دمشق بعد ثلاث سنوات.

في عام ١٩٨٥ رفع إلى رتبة أستاذ مساعد، وفي عام ١٩٩٠ رفع إلى رتبة أستاذ في العلوم اللغوية، ثم عين رئيساً لقسم اللغة العربية. وفي ٢تشرين الأول ١٩٩٣ صدر القرار الجمهوري رقم/٤٦/ بتعيينه مديراً عاماً مساعداً لهيئة الموسوعة العربية ثم صدر القرار الجمهوري رقم/٤٨/ بتاريخ ١٣آذار ١٩٩٧ بتعيينه عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق. ثم عين مديراً عاماً لـهيئة الموسوعة العربية بالقرار الجمهوري رقم /٣٦/ تاريخ ٢٦نيسان ١٩٩٧، وظل في هذا المنصب إلى وفاته في ١٩٩٩/٩/٢٠م.

كان يعرف اللغتين الإنكليزية والفرنسية وله بعض الإلمام بالسريانية والفارسية. تزوج عام ١٩٦٧ وأنجب ثلاثة أولاد.

لقد كان، رحمه الله، عاليَ الهمة وافر النشاط. فإلى جانب ما ذكرناه، تولى الفقيد الكبير مناصب إداريةً وعلميةً عديدة، يأتي في مقدمتها قبولُه عضواً في اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام ١٩٨٤، واختياره مقرراً للجنة البحوث والدراسات في الاتحاد المذكور، وانتخابه عضواً في مجلس الاتحاد عام ١٩٩٥ ثم اختياره عضواً في موسوعة أعلام العلماء العرب والمسلمين التي تتولى إعدادها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

أما نتاجه الأدبي والعلمي من الكتب فهو:

- كتاب «أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج» إصدار وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٨٢.
- كتاب «نافذة على اللغة» إصدار دار البعث بدمشق ١٩٨٣.
- كتاب «دراسات في اللغة في قسمين «اللسانيات» و«فقه اللغة» إصدار جامعة دمشق عام ١٩٨٤.
- كتاب «أبحاث في اللغة والأدب» إصدار دار شمأل بدمشق ١٩٩٤.
- كتاب «في فقه اللغة العربية» إصدار جامعة دمشق ١٩٩٥.
- كتاب «الصوت والصدى» إصدار اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٩.

أضف إلى ذلك عشرات المقالات والقصص والخواطر في المجال الأدبي وعشرات الأبحاث والمحاضرات في المجال اللغوي.

ومن خلال عمله الجامعي أشرف على إعداد العشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه، وحضر عدداً كبيراً من المؤتمرات والندوات العلمية واللغوية والأدبية.

إن كلمتي لتضيق حقاً عن الإحاطة بكل ما قدمه هذا العالم الأديب. إنه واحد من الرجال البناة: بنى نفسه أولاً علماً غزيراً وثقافة واسعة وخلقاً كريماً، ثم بنى للغة والثقافة العربيتين صرحاً من النتاج القيم. لقد كان طالباً مجداً ومدرساً وأستاذاً ومحاضراً مرموقاً، ومؤلفاً مدققاً وأديباً بارعاً وإدارياً قادراً.... ولكم أتمنى أن تطلع أجيالنا القادمة على سيرة هذا الرجل لتتعلم منه كيف تذللُ العزيمةُ الصادقة الصعاب وتحقق النجاح والفوز، وكيف يعيش الإنسان ويناضل في سبيل شعبه، ويسخر قدراته الفكريةَ والعلميةَ من أجل تقدم أمته ورفعتها.

لقد جمع الدكتور مسعود بوبو، رحمه الله، في وقت واحد، وطيلة سنوات عدة مسؤوليات مختلفة: كان مديراً عاماً لهيئة الموسوعة العربية، وأستاذاً في كلية الآداب، وعضواً في مجمع اللغة العربية، وعضواً في اتحاد الكتاب العرب.

وقد نهض بهذه المسؤوليات معاً وفي آن واحد، بكل جدارة وكفاءة وأدى الأعمال التي تتطلبها أداءً عالياً فلم يخل بواحد منها. وفي الوقت ذاته لم ينقطع عن الكتابة في ميدان اللغة والثقافة والأدب.

ولئن كان نشاطه هذا مدعاة للإعجاب، فقد أعانه عليه ما كان يتمتع به من طاقة لا تنضب وعزيمة لا تلين وإحكامٍ في تصريف الأمور وضبط للمواعيد واستفادة من الوقت.

أما كتابته فقد تنوعت موضوعاتها، فما كان منها متصلاً باللغة اتسم بالرصانة والدقة والجزالة، وما كان منها متصلاً بالأدب فثمة العبارةُ المشرقة، واللفظةُ المنتقاة و«السهلُ الممتنع».

لقد اختطفته المنون وهو في قمة عطائه، ولكنها أعجز من أن تختطف ذكراه الباقية. لقد بقيت منه شمائلُ رفيعةٌ اتصف بها وقيم سامية اتخذها نبراساً في حياته، وروح عربية متوثبة تحلى بها، ونزوع صادق إلى كل ما هو أفضل وأكرم وأسمى لوطنه وأمته وللإنسانية جمعاء.

لقد صاغ حياته حبة حبة ونسجها خيطاً خيطاً، فجاءت قصةً تحكى وأنشودة تغنى: قصةَ جِد واجتهاد، وصبر ومصابرة، وأنشودةَ نضال لا يفتر من أجل نهضة أمتنا العربية وإرساءِ مكونات هذه الأمة وفي مقدمتها اللغةُ والثقافةُ العربيتان اللتان تشكلان نسيج العروبة الخالد على الزمن من الخليج إلى المحيط.

وتخليداً لذكراه أصدرت هيئة الموسوعة العربية، بعناية الأستاذ الفاضل الدكتور إحسان النص نائب رئيس مجمع اللغة العربية، كتيباً يضم الكلمات التي ألقيت في حفل تأبين الفقيد الغالي الذي انعقد في الثالث من تشرين الأول ١٩٩٩، والتي أشادت بمناقبه وخلقه الحميد وأدبه الجم، وذلك إلى جانب مسيرته الذاتية والعلمية.

أيها السيدات والسادة،

لقد كانت سورية، وطننا العربي الصغير وفيةً دوماً لوطننا العربي الكبير، وفصيلاً رائداً من فصائل أمتنا العربية المجيدة، تعمل في صمت وتعطي بلا

حساب، ويتجلى دورها المضيء في ميدان اللغة العربية، على وجه التحديد، بأمور عديدة كان لها فيها السبق والريادة.

- إن أولَ مجمع للغة العربية هو مجمع دمشق الذي نجتمع في رحابه، وأولَ تعليم عالٍ بالعربية ناجح ومستمر، إنما كان في معهدي الطب والحقوق بدمشق، واعتمدت اللغة العربية لغةَ الأنشطة الفكرية كلها: السياسة والإدارة والقضاء والثقافة والإعلام والاقتصاد... كان ذلك في العهد الفيصلي عام ١٩١٩، واستمر حتى اليوم بنجاعة ونجاح.

وبعد أن تحقق الجلاء وأعلن الاستقلال عام ١٩٤٦، شمل التعريب جميع العلوم الأساسية والتطبيقية والإنسانية في جميع كليات التعليم العالي ومعاهده.

- قام أبناؤها بنقل تجربتها وخبرتها إلى الأقطار العربية الأخرى بعد نيلها الاستقلال، فأمدت بلداناً عربية مشرقيةً ومغربيةً عديدة بالمدرسين الأكفياء في جميع المواد في التعليم العالي وفيما قبله، إعارةً أو استيداعاً، واستقبلت في جامعاتها ومعاهدها ألوف الطلبة العرب، وزودت بعض الأقطار بالكتب المدرسية والجامعية والثقافية، وما تزال على هذه الحال منذ نصف قرن حتى الآن فكانت داعية للتعريب وداعمة له بكل وسيلة. وكذلك استضافت المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر الذي أحدثته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لخدمة التعريب وتأمين الكتب المرجعية باللغة العربية بالتعاون مع الجهات المختصة في البلدان العربية.

- نهض أبناؤها بتأليف عدة معجمات لغوية وأكثر من ثلاثين معجماً متخصصاً، ونشرت جامعاتها وإداراتها الحكومية ومؤسساتها الأهلية ألوفاً من

الكتب المنهجية والمرجعية وكتب الثقافة العامة... تأليفاً وترجمةً، فكان جهدها في هذا الميدان مثمراً مرموقاً.

ولست أريد الإطالة في هذا الموضوع، فأنتم عالمون به وبعضكم مشارك فيه، ولم أذكره تباهياً بما قدم قطرنا بل إظهاراً للحقيقة. إنها خطةٌ اختطتها سورية العربية منذ ملكت أمرها، بيد أن هذه الخطة قد ازدادت إحكاماً ونفاذاً، ووضوحاً واتساعاً بعد تسلم الرئيس الخالد حافظ الأسد زمام الأمور في أوائل السبعينيات إذ غدت مبدأ راسخاً ونهجاً متصلا. إن من أقواله في هذا الصدد: «إن لغتنا هي عنوان هويتنا وهي الرابطة بين الناطقين بالضاد، وهي من أهم صلات الماضي بالحاضر والمستقبل. بها نعبر عن ذاتنا وننشر في الوطن العربي والعالم نتاج الفكر العربي، وننقل إلى أبناء الأمة العربية النتاج الفكري للشعوب الأخرى». ولقد قرن أقواله بالأفعال فازداد الاهتمام بالعربية عندنا وارتفعت صروح العلم وانتشرت مراكز الثقافة في أرجاء القطر، ورافق ذلك شروع بعض الأقطار العربية بتعريب التعليم في كلياتها العلمية، ولكن التحديات كثيرةٌ والمسؤوليات كبيرةٌ والعنايةَ باللغة العربية وتنميتها لا تقف عند حدٍ أو زمن.

وها نحن بعزائم رجال آمنوا برسالة أمتهم على مثال من تشرفت بالتحدث عنه اليوم، نتابع المسيرة في عهد الدكتور بشار الأسد رئيس الجمهورية الذي اتخذ التطوير والتحديث منهجاً ومنطلقاً بغيةَ مواكبة العصر والتماسِ أسباب القوة والتقدم مع الحفاظ على ثوابتنا الوطنية وذاتنا الثقافية وهويتنا القومية.

أكرر الشكر خالصاً للسادة رئيسِ وأعضاءِ المجمع الوقور ولكم جميعاً لحضوركم وإصغائكم لي، سدد المولى تعالى خطانا إلى ما فيه الخير والسلام.